الباحث عن الحقيقة

obeikandl.com

obeikandl.com

الباحث عن الحقيقة - ١

قال ابن عباس -رضى الله عنهما: حدثنى سلمان الفارسى -رضى الله عنه-فقال :

كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان ، من أهل قرية يقال لها : جى ، وكان أبى دهقان قريته ، وكنت أحب خلق اللّٰه إليه ، لم يزل به حبه إيّاى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطَنُ النار الذى يوقدها ، لا يتركها تخبو ساعة واحدة .

وكانت لأبى ضيعة عظيمة فشُغل فى بنيان له يوماً ، فقال لى : يا بنى ، إنى قد شُغلتُ فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى ، فاذهب إليها فاطلعها ، وأمرنى فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لى : ولا تحتبس عنى ، فإنك إن احتبست عنى ، كنت أهمّ إلىّ من ضيعتى وشغلْتنى عن كل شىء من أمرى .

قال : فخرجت أريد ضيعته التى بعثنى إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى دخلت عليهم أنظر ما يصنعون . فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ، **وقلت :** هذا واللّٰه خير من الدين الذى نحن عليه ، وتركت ضيعة أبى فلم آتها، **ثم قلت لهم:** أين أصل هذا الدين؟ قالوا بالشام.

(حديث صحيح، أخرجه سعد وأحمد وآخرون)

....

هذه بداية قصة مهّمة فى تاريخ الإسلام، وهى دخول "**سلمان الفارســـى**"-رضى اللّٰه عنه- إلى ساحة الدين الحنيف . وهى قصة حافلة مليئة بالأحداث والأشخاص، يمكن تسميتها بقصة الحدث بحق ، فقد صادف الصحابى الجليل -رضى اللّٰه عنه- أحداثاً ومواقف صعبة وعديدة ، حتى منّ اللّٰه عليه بنعمة الإسلام .

وقد استلهم هذه القصة عدد من أدبائنا وكتابنا المعاصرين، ولعل أشهر من استلهمها الكاتب القصصى الراحل "**محمد عبد الحليم عبــد الله**" حيث كتب أجمل قصة فى أدبنا الحديث عن إسلام سلمان الفارسى بعنوان " **الباحث عن الحقيقة** " .

وابن عباس – رضى الله عنه – يحكى القصة على لسان سلمان، الذى يعرف بنفسه وانتمائه إلى أصبهان وقرية جى الفارسية ، وكان أحب خلق الله إلى والده ، وهذا الحب دفعه إلى حبسه فى البيت خوفاً عليه . ولكن فطرة سلمان الدافعة له إلى البحث عن الحقيقة ، جعلته يجتهد فى تديّنه على الطريقة المجوسيّة التى يعبد أتباعها النار ، صار من شدّة تديّنه "قطن النار" أى الحارس عليها ، الذى يغّذيها بالوقود باستمرار حتى لا تنطفىء ولا تخبو.

إن والد سلمان كان دهقان قريته، أى رئيسها أو عمدتها كما نقول فى مصر. وكان صاحب ضيعة كبيرة ، تشغله همومها وأعباؤها ، وهو ما دفعه إلى أن يأمر سلمان بالذهاب إلى الضيعة والاهتمام بشئونها ، والعودة إليه لأنه لا يطيق فراقه ؛ فهو عنده أهم من الضيعة ومن كل شىء .

وكان هذا الأمر بداية التطوّر فى تفكير سلمان وعقيدته و الدخول فى معمعة كبيرة من الأحداث حتى وصل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأعلن إسلامه ، وصار واحداً من كبار الصحابة .

تبدأ رحلة البحث عن الحقيقة بخروج سلمان إلى ضيعة والده ، فيمرّ بكنيسة للنصارى ، ويستمع إلى أصواتهم وهم يصلّون، وكان سلمان يجهل أمرهم وأمر الناس عموماً بسبب حبس والده له فى البيت . وقد أغراه ما سمع بالدخول إلى الكنيسة لينظر ما يصنع النصارى ، فأعجبته صلاتهم ، ورغب فى أمرهم ، ورأى أن دينهم أفضل من دينه المجوسى ، فظل معهم حتى غربت الشمس ، وترك ضيعة والده ، أو نسيها فلم يذهب إليها لأنه انشغل بما رأى عند القوم ، ولم يكن انشغاله سطحياً أو ظاهرياً ، بل كان انشغالاً عميقاً جاداً ، فسألهم عن أصل الدين ومكانه ، فقالوا له إنه بالشام . وهنا تبدأ الأحداث فى التعقيد حيث رجع سلمان إلى أبيه بعد أن طلبه ليعاتبه على تقصيره فى المهمة التى كلّفه بها فيحكى له سلمان ما جرى:

"يا أبت، مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من دينهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس " .

فقال له أبوه: أى بنّى، ليس فى ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه .

فقال لأبيه : كلا ، واللّٰه إنه لخير من ديننا . فخافة أبوه ، فجعل فى رجله قيداً، ثم حبسه فى بيته .

وكأن هذا الحبس نهاية المطاف ، بعد حوار يكشف عن مفهوم الأب والابن للعبادة ، فالابن يفكّر، ويقارن ، ويرى أن النصرانية أفضل من المجوسية ، ولكن الأب لا يفكر ولا يقارن ، ويتعصّب لما ورثه عن آبائه ، فيعتقد أن المجوسية أفضل من النصرانية ، ولأنه يخاف على ابنه من الخروج عن عبادة النار، فإنه يحبسه ويقيّده ، حتى لا يواصل اتصاله بالكنيسة ، وينحاز إلى النصرانية فيكون لذلك تأثيره عليه وعلى أهل القرية التى يحكمها ويرعى شئونها .

ولكن هل منع القيد والحبس سلمان عن مواصلة رحلة البحث عن الحقيقة؟ كلاّ.. لقد واصل رحلته بطريقة ما . فقد بعث إلى النصارى كى يخبروه إذا قدمت رحلة من الشام ، وبالفعل فإن هذا الركب القادم من الشام ويضم تجاراً من النصارى ، يحملونه معهم إلى الشام بعد أن ألقى الحديد من رجله.. وهناك سأل : من أفضل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف فى الكنيسة ، فذهب إليه وطلب أن يدخل فى النصرانية ويخدم فى الكنيسة ، ويتعلم منه ويصلى معه . فاستجاب له ، ولكنه كان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ولكنه يكنزها لنفسه ، ويحرم المساكين ؛ حتى جمع سبع قلال من الذهب والفضة . فأبغضه بغضاً شديداً ، وحين مات اجتمع النصارى لدفنه فأخبرهم بما كان يفعل ودلهم على موقع الذهب والفضة ، وعندئذ رفضوا دفنه وصلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر جعلوه مكانه .. وكانت له قصة أخرى مع سلمان رضى اللّٰه عنه .

الباحث عن الحقيقة - ٢

يواصل ابن عباس رضى الله عنهما-رواية قصة إسلام سلمان الفارسى .. فبعد أن مات الراهب الذى رفض قومه أن يدفنوه وقاموا بصلبه ورجمه لسوء سلوكه، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

يقول سلمان: فما رأيت رجلاً يصلى أفضل منه ، وأزهد فى الدنيا ، ولا أرغب فى الآخرة، ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه. فأحببته حبّاً لم أحب شيئاً قبله مثله، فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان ، إنى قد كنتُ معك ، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك.. وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى، فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى ؟

قال : أى بنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالحق به .

فلما مات وغيّب لحقْتُ بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألحق بك، وأخبرنى أنك على أمره، فقال لى: أقم عندى، فأقمت عنده ، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان ، إن فلاناً أوصى بى إليك ، وأمرنى باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى مَنْ توصى ؟ وبم تأمرنى ؟

قال: يا بنى ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان فالحق به، فلما مات وغُيّب لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبرى، وما أمر به صاحبى .

فقال : أقم عندى ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر**قلت له :** من توصى بى ، وبم تأمرنى ؟

قال: يا بنى، والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه ، إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فإنه على أمرنا...

....

لم تكن رحلة سلمان الفارسى رضى الله عنه بحثاً عن الحقيقة ، واهتداءً إلى الإسلام ، سهلة أو هينــّة ، ولكنها كانت رحلة معاناة وتجارب . معاناة عميقة وتجارب خصبة ، جعلته فيما بعد واحداً من المبشرين بالجنة وفقاً لبعض الروايات وصحابيّاً جليلاً مهّماً فى مسيرة الدعوة الإسلامية فى نظر المؤرخين جميعاً .

لقد كانت تجربته الأولى مع راهب سوء يكنز المال ، ويحرم الفقراء ، مما أدى إلى صلبه ورجمه وعدم دفنه ، وكانت تجربته الثانية مع راهب آخر، يحب الخير وهو عابد زاهد قائم ، أحبه سلمان كما لم يحب أحداً آخر، وظل معه حتى حضرته الوفاة فطلب منه أن يوصى به ويوجهه ، ولكن الرجل يشير إلى أمر خطير، وهو هلاك المؤمنين ، وتغيّر الناس فى زمنه ، فبّدلوا دينهم ، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلاّ رجلاً بالموصل ظلّ ثابتا على الحق ..وهذا الرجل لحق به سلمان ليخوض تجربة جدّدت إيمانه ورسخّت يقينه ، حين وجده مثل صاحبه الراحل الذى أحبه حبا شديداً . ولم يلبث صاحب الموصل أن مات بعد أن أوصى سلمان أن يلحق برجل فى نصيبين يرى فيه خيراً ، فأقام عنده وكان على أمر صاحبيه فى الموصل و الشام ، حتى نزل به الموت ، فأوصاه برجل فى عمورية من أرض الروم ، هو الذى بقى على أمر النصرانية الحقيقية ، فلحق به سلمان وأقام عنده ، وكان رجل خير، على هدى أصحابه السابقين وأمرهم ..

نلاحظ أن سلمان أقام عند أكثر من راهب فيه صفات طيبة ولديه تجارب غنيّة ، وهو ما صقل فكره وأنضج وعيه ، وجعله يسير فى طريق الإيمان إلى منتهاه .. لقد توطدت إقامته لدى صاحب "عموريــة"، فعمل وكسب حتى كانت له بقرات

وغنمات ، ونزل أمر الله برجل عمورية ، وحضرته الوفاة ، فطلب منه سلمان الوصيّة والتوجيه ، وهنا تنتقل الأحداث نقلةً جديدة ، تقترب بسلمان من الإسلام والتعرف على نبيّه – صلى الله عليه وسلم – ولكنها تزيده معاناة و ألماً، وتدخله تجارب جديدة عاصفة ، وكأنّها تهيىء له دوره المنتظر فى خدمة الإسلام و المسلمين .

إن راهب عمورية يقول له : أى بنى ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحداً على مثل ما كنا عليه من الناس ما آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظلّ زمان بنى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجره إلى أرض بين الحرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى :

يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوّة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

إذاً راهب عموريّة النصرانى يبشّر بمحمد – صلى الله عليه وسلم ، كما أخبره كتابه المقدّس ، ويشير إلى رسالته التى تتضمن دين إبراهيم عليه السلام . ويبيّن علامات نبُوتّه المحسوسة و الملموسة ، فهو – أى محمد – يخرج بأرض العرب ، ويهاجر إلى يثرب ، أرض بين الحرّتين أى بين الأرضين ذواتى الحجارة السوداء ، وفيها نخل . وهناك علامات نبوّته الشخصية التى تتمثل فى أنه يقبل الهدية ، ولا يقبل الصدقة ، وفى جسمه علامة بين كتفيه تحمل خاتم النبوة .

هذه العلامات يسترشد بها سلمان الفارسى، رضى الله عنه، فى رحلته للبحث عن الحقيقة بعد موت صاحبه فى عمورية التى بقى بها زمنا ، ثم رحل عنها إلى أرض العرب بعد أن أعطى القافلة التى حملته بقراته وغنماته ...ولكن تجار القافلة، وكانوا من قبيلة كلب ، يظلمون سلمان ويبيعونه عبداً لرجل يهودى ، يقيم عنده حتى يرى أول علامة من العلامات التى أشار إليها صاحب عمورية ، وهى النخل فيستشعر أنه اقترب من غايته ، ويتأكد من ذلك حين يأتى يهودى من بنى قريظة لمن اشتراه ، فيحمله إلى المدينة ..وتتلاحق أحداث البحث عن الحقيقة .

الباحث عن الحقيقة - ٣

رأينا سلمان الفارسى - رضى الله عنه ، فى قصة بحثه عن الحقيقة يصل إلى المدينة المنوّرة عبداً رقيقاً ليهودى من بنى قريظة يعانى الرق و العبودية ، حتى سمع بهجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، فذهب إليه وهو بقباء .

يقول ابن عباس - رضى الله عنهما - على لسان سلمان :

"**قلت له:** إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شىء قد كان عندى للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم .

قال: فقربته إليه فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "**كلوا**" وأمسك يده فلم يأكل .

قال: فقلت فى نفسى : هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً ، ثم جئت به فقلت له إنى رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه . **قلت فى نفسى** : هاتان ثنتان . ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ببقيع الغرقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، على شملتان لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذى وصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكببت عليه أقبله و أبكى ، فقاتل لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "**تحوّل**".

فتحولت فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثى - كما حدثتك يا ابن عباس ، فَأَعْجَبَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان الرقّ؛ حتى فاته مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدر و أحد ...

....

فى هذا الجزء من قصة سلمان الفارسى - رضى الله عنه - تصل الأحداث القصصية إلى ذروتها حيث تقترب من نهاية تحقيق الحلم الذى حلم به سلمان ، وهو الوصول إلى الحقيقة و اطمئنان القلب وسكينة الروح، رؤية النبى -صلى الله عليه وسلم- والتثبت من علامات النبوة التى حدثه عنها راهب عمورية ، وإعجاب النبى -صلى الله عليه وسلم- بقصته ورغبته أن يسمعها الصحابة رضوان الله عليهم .

لقد جاء سلمان إلى المدينة ، وكان النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مكة ، يتلقى الوحىّ حيث بُعث رسولاً ونبيا ، وكان سلمان يعانى فى رقه و عبوديته . وكانت هجرة المسلمين إلى المدينة، وسمع سلمان وهو على رأس نخلة لسيّده اليهودى يعمل فيها بعض العمل ، حديثا جرى بين سيده وابن عمّ له يقول : يا فلان ، قاتل الله بنى قيلة ، والله إنهم

الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة يزعمون أنه نبى . قال سلمان ، فلما سمعتها أخذتنى العُرَوَاء أى الرعدة من البرد ، حتى ظننت أنى ساقط على سيدى ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ فغضب سيدى فلكمنى لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك. قلت ؛ لا شىء إنما أردت أن أستثبته عما قال .

وتكشف لنا هذه الواقعة عن إحساس اليهود بصدق البشارة ، ومعرفتهم بمجىء نبى آخر الزمان الذى تحدث عنه الكتاب المقدس ، وأشار إلى أوصافه ، وهم منذ وصوله إلى المدينة فى همّ عظيم ، لأنهم سيفقدون السيادة و القيادة . كما تكشف هذه الواقعة على المستوى الشخصى عن قسوة اليهود على غيرهم من خلال اللكمة الشديدة التى تلقاها سلمان من سيّده ، ورغبته فى إبعاده عن الأمر حتى لا يتأثر بالنبى المنتظر !

يسعى سلمان كى يستوثق من العلامات التى ذكرها له راهب عمورية، فيذهب بالصدقة إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – ولكنه لا يقربها، و يأمر أصحابه أن يأكلوا منها.. فهو لا يقبل الصدقة و تتحقق أولى العلامات الشخصية .بعدها يستوثق من الخاتم الذى بين كتفيه ، وحين يراه يقبل عليه ويبكى ويأمره الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يتحول إلى مجلسه ويجلس بين يديه ، ويحكى له قصته التى رأى أن يسمعها الصحابة .

البحث عن الحقيقة لدى سلمان استغرق زمناً طويلاً وعمراً مديداً ، بدأ من شبابه فى إحدى قرى أصبهان ببلاد فارس ، حتى تم بيعه رقيقاً ليهودى وهو فى طريقه إلى أرض العرب ووصوله إلى يهودى آخر فى المدينة ، وفيما بين البداية والمدينة ، صحبته لعدد من الرهبان بعضهم سيىء السلوك ، ومعظمهم يعبد ربّه كما علمته شريعته ، ويخبره راهب عمورية بالنبى المنتظر وعلاماته ، بعد أن فسد الناس وتركوا شريعتهم وحرفوها وبدّلوها ، وتكون هذه العلامات هادياً لسلمان رضى الله عنه فى التعرف على النبى –صلى الله عليه وسلم– وإعلان إسلامه وهو عبدُ ، فلم يتمكن من شهود بدر و أحد ، مما حزّ فى نفسه ، ولكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسعى إلى تحريره ليكون واحداً من كبار الصحابة ، فيأمره أن يكاتب سيدّه قائلاً ، "كاتب يا سلمان" أى يعمل ويسدّد له نظير ثمنه ، ويأمر أصحابه بمساعدة سلمان **"أعينوا أخاكم"**، بل إنه يسهم بنفسه فى هذه المكاتبة ويأتى بمثل بيضة الدجاجة من ذهب فيقول:" خذ هذه فأدها عما عليك يا سلمان " **وحين يتردّد سلمان مستقلاً إياها، يقول له: خذها فإن الله سيؤدى بها عنك** "..يقول سلمان : فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذى نفس سلمان بيده ، أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها . وتحرّر سلمان وتم عتقه ، وشهد مع الرسول – صلى الله عليه وسلم - المشاهد كلها منذ الخندق . رحم الله سلمان الفارسى ورضى الله عنه – فقد كان مثالاً للباحث الأصيل عن الحقيقة . لم تغره ضيعة أبيه ولم تلهه صعوبات البحث ومعوّقاته عن الوصول إلى الحقيقة .